

المستأنق

يصدرها حزب الاتحاد الاشتراكي العربي

تعنى بقضايا الفكر والسياسة والثقافة - العدد ٤١٢ - الثلاثاء - ٥ آذار /مارس/ ٢٠١٩ - ثمن النسخة ٢٥ ل.س



عدد خاص

الجبهة الوطنية التقدمية في ذكرى تأسيسها الـ 47 رؤية صفوان قدسي لهذا المشهد

الجبهة... ما لها وليس ما عليها

المستأنق

تعنى بقضايا الفكر والسياسة والثقافة - العدد ٤١٢ - الثلاثاء - ٥ آذار /مارس/ ٢٠١٩ - ثمن النسخة ٢٥ ل.س



محور خاص

كلام في صيغة متقدمة للعمل السياسي

إعادة إنتاج ديمقراطية السفارات

د. بارعة القدسي

وكان هناك حزب سريان ما بعد ما بعد إلى إلغاء مطر لا يهمل دور رأسه، وإنما يهمل في مكان آخر من العالم، برقع مطلة لا تعني ولا تضمن من جوع، وكان لهذا الحزب، زاه وأجهزاته التي اجتمعت معه بشانها لذلك، لكن هذا الاختلاف أو الخلاف سرعان ما آل إلى نوال بعد مراجعات قام بها هذا الحزب، وكانت مراجعات هي من وجهة نظرها في الآله الصحيح، وكانت هناك أزمات صغيرة وبهاجسته لا شأن لها بفتات على مياد الأخرين.

وفي مقابل ذلك كله، كان هناك حزب البعث العربي الاشتراكي، وكانت هناك حركة أحده في الصعيد هي حركة القوميون العرب، وكلاهما كان ينح منحس قوبيا عربيا وحديا جرى توجيهه بقيام الجمهورية العربية المتحدة، أول وحدة في تاريخ العرب الحديث، وهذا التطرف مما الجنان من بين جميع التطبيقات الأخرى القان كانا في منأى عن مشكلة الإرتباط بهذه الجهة الخارجية أو تلك.

وفي مقابل هذه الحالة الجدية التي تحاول البعض تسويقها على أنها حالة ديمقراطية نموذجية كانت هناك حالة أخرى هي صحافة تلك الأيام، وما أدراك ما صحافة تلك الأيام، هي في كارتها الكثرة، وفي عالمها العنصر صحافة المال السياسي، وصحافة السفارات، وما أكثر المال السياسي الذي كان يهدد أركانها، وما أوسع نفوذ السفارات وقتذاك، فهل يصحح الذين يسوقون تلك السفارات من حينها إلى إعادة إنتاج تلك التجربة مرة أخرى؟

وهل يحفظ الذين يسيرون بجملي ما كان قائما في حينها، لذلك لأصحاب تلك السفارات ما يخدم أغراضا موحى إليهم بها؟

أليس من حق أن يتحدث من يظن إلى مثل ما أعرف؟

لكن ما يجعل طوبى نذهب أراج الرياح ينتهه، هو أن هذه الصيغة المتقدمة للعمل السياسي في حينها، التي من الرئيس بشار الأسد كل الرابطة والأصطناع اللذين صعدت عليهما بصورات العمل الوطني والديمقراطي.

- الجبهة الوطنية التقدمية هي ذكرى تأسيسها.
- الجبهة حقيقة وضرورة.
- التجذير والتعميق والتأصيل.
- إمكانات متاحة وخيارات ممكنة.
- عود على بدء.
- اللبنانيون وابن خلدون.
- استدعاء مجلس الأمن.
- يعزز الخلافات لا الوحدة.

- عصاينة الحرب
- ليست لها خبرة عسكرية.
- خطة بوش.. الاندفاع.
- في الاتجاه المعاكس.
- لعنة الحرب تطارد بوش وأولمرت.
- الديمقراطيون والعراق.
- و"عصرييت" فيتنام

- الدولة أمام محكمة التاريخ
- انتخابات مجلس الشعب
- تقرب بين السلطة والمال.

المستأنق

تعنى بقضايا الفكر والسياسة والثقافة - العدد ٤١٢ - الثلاثاء - ٥ آذار /مارس/ ٢٠١٩ - ثمن النسخة ٢٥ ل.س



عدد خاص

صفوان قدسي يحزر هذا العدد من ((الميثاق))

الجبهة الوطنية التقدمية في عيدها الـ 42

التقشيريون والتقدميشيون



حزب الاتحاد الاشتراكي العربي



الجبهة الوطنية التقدمية في ذكرى تأسيسها الـ 47
رؤية صفوان قدسي لهذا المشهد

تطوير صيغة عمل الجبهة الوطنية التقدمية حزب الاتحاد الاشتراكي العربي



بناء على الاجتماعات والمداولات التي جرى فيها البحث في تطوير صيغة عمل الجبهة الوطنية التقدمية، فإن حزب الاتحاد الاشتراكي العربي يقدم رؤيته لهذه المسألة وفق الضوابط الآتية:

1- إن الجبهة الوطنية التقدمية هي صيغة متقدمة للعمل السياسي، وتعد إحدى الإضافات النوعية التي قدمها القائد الخالد حافظ الأسد إلى حياتنا السياسية وإلى فكرنا السياسي في آن معا.

2- إن هذه الصيغة حمل ثلاثة عناوين كبرى هي:

أ- التعددية الحزبية والسياسية التي أكدها وجود عدد من الأحزاب على ساحة العمل الوطني في سورية، وهي أحزاب عريقة ولها تاريخ طويل في العمل السياسي، وهي في الوقت نفسه تنتمي إلى تيارات فكرية متعددة، بعض منها قومي وحدوي، وبعض آخر يزاوج بين انتمائه القومي الوحدوي وإيمانه بالاشتراكية طريقاً إلى تحقيق العدالة الاجتماعية عن طريق إذابة الفوارق بين الطبقات، وإقامة مجتمع الكفاية والعدل، وهو مجتمع الوفرة في الإنتاج، والعدالة في التوزيع. وبعض ثالث منها ينتمي إلى الماركسية في أصولها الفكرية، وجلباتها السياسية، بحسبانها طريقاً إلى مجتمع يقوم على امتلاك الشعب لوسائل الإنتاج.

ب- الوحدة الوطنية التي عملت هذه

يؤكد أننا كنا نعيش في دائرة شيطانية تقوم على التصادية، بل والتناحية أيضاً، بحيث وصلنا إلى حلقة مفرغة من الصراعات التي تقوم على مجموعة من الأوهام التي كان هناك دائماً من يسعى إلى تأجيجها وتسعير أوارها لتجهز على طاقات الجميع وقدراتهم، وتلتهم كل فرصة من شأنها الارتقاء بعملنا الوطني

حقيقة مفادها أن ما يصلح لمجتمع من المجتمعات، لا يصلح بالضرورة لغيره من المجتمعات، وأن الديمقراطية ليست سلعة للبيع أو الشراء، ولتنقل أو الاستعارة، وإنما هي الإبنة الشرعية لهذا المجتمع أو ذلك، بكل خصائصه ومكوناته.

3- إن ما كان قائماً في حياتنا قبل قيام هذه الصيغة المتقدمة للعمل السياسي،

الصيغة على تكريسها وتثبيت أقدامها في الحياة العامة للبلاد، بصرف النظر عن المؤامرات التي جرت حياكتها للمساس بهذه الوحدة وتخريبها.

ج- الديمقراطية المعبرة عن خصوصيتنا الوطنية والقومية، والصاعدة من تاريخنا وتراثنا وحضارتنا وجأريتنا وخبراتنا المتراكمة، وهي الديمقراطية القائمة على



المدير المسؤول المشرف على التحرير: صفوان قدسي

أمين التحرير: ماجدة جبور | الإخراج الفني: لارا توما

الإدارة والتحرير: دمشق - حي الروضة - هاتف: ٣٣١٥٤٠٣ | فاكس: ٣٣١٥٤٠٢

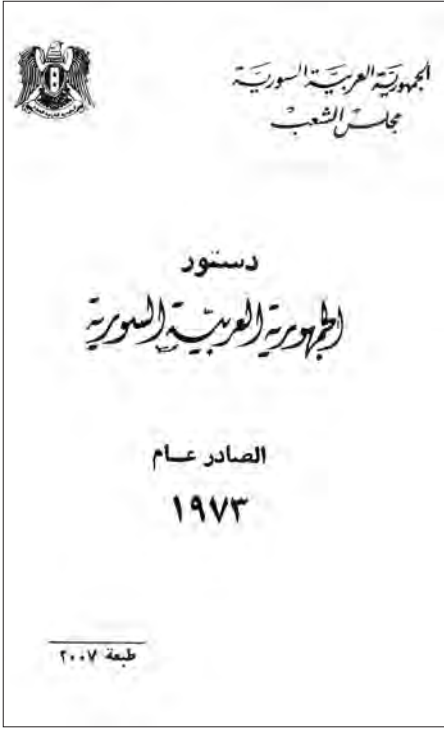
الاشتراك السنوي: للأفراد ١٠٠٠ ل.س | للمؤسسات ٣٠٠٠ ل.س | تصدر مرة كل أسبوعين مؤقتاً

فيسبوك: حزب الاتحاد الاشتراكي العربي | الموقع الإلكتروني: www.asuparty.org | الإيميل: info@asuparty.org

فيسبوك: الجبهة الوطنية التقدمية | الموقع الإلكتروني: www.Pnf.org.sy

الميثاق





أن تضيف جديدا إلى الحياة الحزبية القائمة، لكن هذا الافتراض يتوقف على قدرة هذه الأحزاب الوليدة على إثبات أهليتها وجدارتها، خصوصا إذا أخذنا بالحسبان أن بعضا منها لا يملك القدرة على إثبات حضوره في الحياة السياسية السورية بسبب فقر في الخبرات، ونقص في الكفاءات، وضعف في الثقافات.

10- إن المهم في الأمر كله هو أن يتحقق هذا الافتراض في ظل شكوك عميقة، ولها أسبابها الموضوعية، حول قدرة هذه الأحزاب على تشكيل حالة حزبية أكثر تطورا من الحالة القائمة، وهي شكوك تتصل باللحظة السياسية والأمنية الضاغطة التي تعيشها البلاد، من دون التشكيك في وطنية الأغلبية العظمى من هذه الأحزاب.

11- إن حزب الاتحاد الاشتراكي العربي يرى أن الأمر يستدعي تطوير صيغة عمل الجبهة الوطنية التقدمية بما يؤدي إلى تحسين الأداء والارتقاء بالفعل والتأثير إلى المستوى المرغوب، وهذا كله يتطلب قراءة فاحصة ومدققة لما نحن فيه الآن، وصولا إلى ما ينبغي أن نصير إليه في ما هو مقبل من الأيام وآت.

حزب الاتحاد الاشتراكي العربي

وتلك الضرورات، وتأسيسا على ذلك، فإن الجبهة لم يصنعها الدستور، بقدر ما أن الجبهة هي التي أسهمت في صياغة هذا الدستور، بما في ذلك المادة الثامنة منه التي أثير حولها لغط مصطنع ومفتعل، والتي تصاعد هذا اللغط حولها منذ بدء الحرب على سورية عام 2011، ولم ينفع انتزاعها من نصوص الدستور الجديد عام 2012 في قبول المتأمرين على الوطن للدستور الجديد الذي أسس لحالة حزبية، وتعددية سياسية، من دون وجود المادة الثامنة.

8- إن هذه الصيغة المتقدمة للعمل السياسي قد أدت دورها في حياة البلاد، وأثبتت حضورها وجدواها، لكن ما هو قائم بعد خمسة وأربعين عاما هو عمر الجبهة الوطنية التقدمية، يستدعي التفكير الجدي والرصين وغير المتسرع، في تطوير هذه الصيغة، وهو ما يدعو إليه الرئيس بشار الأسد، بما يستجيب لضرورات العمل الوطني، وبما يتجاوب مع تطورات نوعية تحققت، ومنها صدور قانون ينظم الحياة الحزبية في البلاد، ويضع لها ضوابط وقواعد محكومة بالمصالح الوطنية العليا، وهو قانون كان من شأنه استيلاء عدد من الأحزاب الجديدة.

9- إن ما استولده قانون الأحزاب من أحزاب جديدة، إنما يشكل حالة يفترض

حياتنا، إن لم نقل إنها تعاضمت بحيث أصبحت الدرع الواقعي، جنبا إلى جنب مع عناصر عديدة أخرى، الذي يحمي البلاد من محاولات التفجير والتدمير للإجهاز على الدولة السورية، أرضا وشعبا ومكونات أخرى لا تعد ولا تحصى.

7- إن الحقيقة الغائبة التي لا بد من استحضارها واستذكارها، هي أن هذه الصيغة سابقة على دستور البلاد الذي أقر في استفتاء شعبي عام 1973، وليست لاحقة. ذلك أن الجبهة الوطنية التقدمية في صيغتها الجينية، قامت مع قيام الحركة التصحيحية التي شاركت الأحزاب التي أسست فيما بعد الجبهة الوطنية التقدمية، في الحكومة التي تشكلت بعد التصحيح مباشرة، وكان لحزبنا وزيران اثنتان، أحدهما بحقيبة والآخر وزير دولة، ثم بعد ذلك دعا القائد الخالد حافظ الأسد إلى حوار بناء بين الأحزاب القائمة في سورية، استمر حوالي سنة كاملة، وانتهى إلى إقرار صيغة الجبهة وميثاقها ونظامها الأساسي، وبهذا المعنى فإن شرعية الجبهة لم تكن مستمدة من الدستور، وإنما من حالة سياسية وشعبية وضرورات وطنية عليا استدعت البحث عن القواسم المشتركة التي تجمع ولا تفرق، والتي توحد ولا تبعثر، فكان قيام الجبهة تجسيدا لهذه الحالة

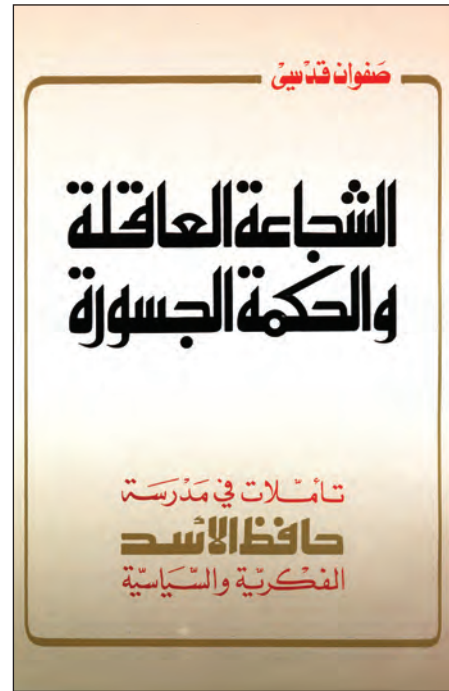
إلى مستوى التحديات التي تواجهنا. 4- إن جهودا محمومة قد بذلت بغرض الانتقاص من قيمة هذه الصيغة وأهميتها وفعلها وتأثيرها، وصولا إلى الانقضاض على مكون أساسي من مكونات حياتنا السياسية، ووحدة الوطنية، وديمقراطيتنا السلمية، وكان الطريق إلى ذلك هو تهميش دور هذه الصيغة، والتقليل من شأنها، بغرض الوصول إلى حالة يكون معها ممكنا ومتاحا تهشيم هذه الصيغة وحذفها وإلغاؤها من قاموسنا الفكري والسياسي، وبالتالي اجتثاثها من حياتنا. 5- إن هذه الجهود المحمومة التي بذلت عبر سنوات مديدة، ولم تفلح في الوصول إلى أغراضها، استأنفت نشاطاتها مع بداية الحرب على سورية بحيث وجدنا أنفسنا أمام خيار نرى نحن في حزب الاتحاد الاشتراكي العربي أنه لم يكن الخيار المجدي، بدليل أن التنازل الذي قدمناه بإلغاء المادة الثامنة من الدستور، يمكن وصفه، ولو من باب التجاوز، بأنه تنازل مجاني لم يقابله أي كسب مفترض أو متوقع، وإن كنا نعتقد أن ما أملاه علينا هذا التنازل هو ضرورات سياسية وأمنية طارئة.

6- إن الضرورات الوطنية الكبرى التي استدعت قيام هذه الصيغة المتقدمة للعمل السياسي، ما زالت قائمة في

التنازل الذي قدمناه بإلغاء المادة الثامنة من الدستور، يمكن وصفه، بأنه تنازل مجاني لم يقابله أي كسب مفترض أو متوقع، وإن كنا نعتقد أن ما أملاه علينا هذا التنازل هو ضرورات سياسية وأمنية طارئة.

الجبهة الوطنية التقدمية في ذكرى تأسيسها الـ 47
رؤية صفوان قدسي لهذا المشهد

خصوصية الأمة تصنع عقلها ودماعها وفكرها ورؤيتها



(1)

في الكلام على الجبهة كلام على مساحات شاسعة لا يمكن لكلمات معدودات أن ترتادها ولا أن تجوبها. فذلك ضرب من الخيال. إن لم يكن ضربا من الحال. لكن ذلك لا يعفينا من المحاولة. وإن تكن المحاولة قاصرة في جانب منها. ومقصورة على بعض من هذه المساحات الشاسعة في جانب آخر منها. وفي كل كلام على شأن ذي أهمية خاصة. إن لم نقل استثنائية أيضا. فإن ما هو متعذر على كلمات معدودات. سرعان ما يغدو أسهل منلا حين تتسع هذه الكلمات للمعدودات للعناوين الكبرى. وللدلالات العظمى. وللمفاصل الأساسية التي ينطوي عليها هذا الشأن ذو الأهمية الخاصة والاستثنائية معا.

(2)

وفي محاولة من هذا القبيل. فإنه لا مناص من الاختيار. ولا بد من الانتقاء. فالعناوين الكبرى عديدة. والدلالات العظمى كثيرة. والمفاصل الأساسية وفيرة. لكن هذا الاختيار. أو ذلك الانتقاء لا يخلو من قدر ما من المجازفة. ذلك أنه في كل اختيار أو انتقاء. تغليب عفوي أو متعمد لعنوان على آخر. أو لدلالة على غيرها. أو لفصل على مفصل. وهو أمر ينطوي. بقدر أو بآخر. على هوى شخصي. أو شرط ذاتي. لكن ذلك في نهاية المطاف. يندرج في سياق القول إنه لا بد مما ليس منه بد.

(3)

ولعل في المقدمة من هذه العناوين والمفاصل والدلالات. ذلك الذي يتصل بمسألة التعددية الحزبية والسياسة التي كثيرا ما نتداولها بالحديث المكتوب. أو بالكلام المنطوق. لكننا في الغالب الأعم لا نوفيها حقها من التأمل العميق. والتحليل الذي يسبر الأغوار ويبلغ الجذور. والفهم الواسع والشامل الذي لا يكتفي بتناول الأمر في

ألم يكن حافظ الأسد يستبصر ما لم يكن قابلا للاستبصار؟ وقبل ذلك وبعده، ألم يكن حافظ الأسد يستخدم بصيرته النافذة، ورؤيته الثاقبة، في رؤية ما لا يرى، وفي استيلاء ما يبدو عسيرا على الاستيلاء؟

إحدى الاكتشافات الكبرى التي قدمها حافظ الأسد إلى تجربتنا السياسية والتي نصفها دائما بأن حافظ الأسد سبق بها عصره بأكثر من عقدين من الزمن. سبقه بالقول وسبقه بالعمل. سبقه بالفكر وسبقه بالممارسة. سبقه بالنظر وسبقه بالتطبيق. هذا الاكتشاف المبكر لأهمية التعددية الحزبية والسياسية. وهو اكتشاف غير مسبوق. عماده الأول هو تلك القدرة الفريدة والنادرة التي يمتلكها

كليته وشموليته. وإنما يعمد في الوقت نفسه إلى الإلمام بالتفاصيل الدقيقة التي تغني المعنى. وتثري المغزى. هذه التعددية الحزبية والسياسية تشكل أحد العناوين والدلالات والمفاصل التي تنطوي عليها هذه الصيغة المتقدمة والمبتكرة للعمل السياسي. وتلكم مسألة على قدر غير محدود من الأهمية. خصوصا عندما نضع يدنا على حقيقة ناصعة في وضوحها. هي أن هذه التعددية تمثل



في غير المناخ الذي ولدت فيه، وخارج البيئة التي صنعت لأجلها، وفي غير المكان الذي تصلح له؟

ألم يكن حافظ الأسد يقرأ في كتاب الحياة الأكثر غنى وثراء من أي كتاب؟ ألم يكن في صياغته لأشكال ممارسة الديمقراطية في حياتنا السياسية، وثيق الصلة، عميق الارتباط، بما تنطوي عليه العبارة الآتية من معان ودلالات، وهي أن علينا أن نهتمك في الحياة بحثاً عن النظرية، لا أن نهتمك في النظرية بحثاً عن الحياة؟

ثم ألم يكن حافظ الأسد في ذلك كله إنما يعبر أبلغ تعبير عن انتمائه العميق إلى جذره التاريخي الذي هو جذر الأمة، وإلى شخصيته الحضارية والثقافية التي هي شخصية الأمة، وإلى خصوصيته القومية التي هي خصوصية الأمة؟

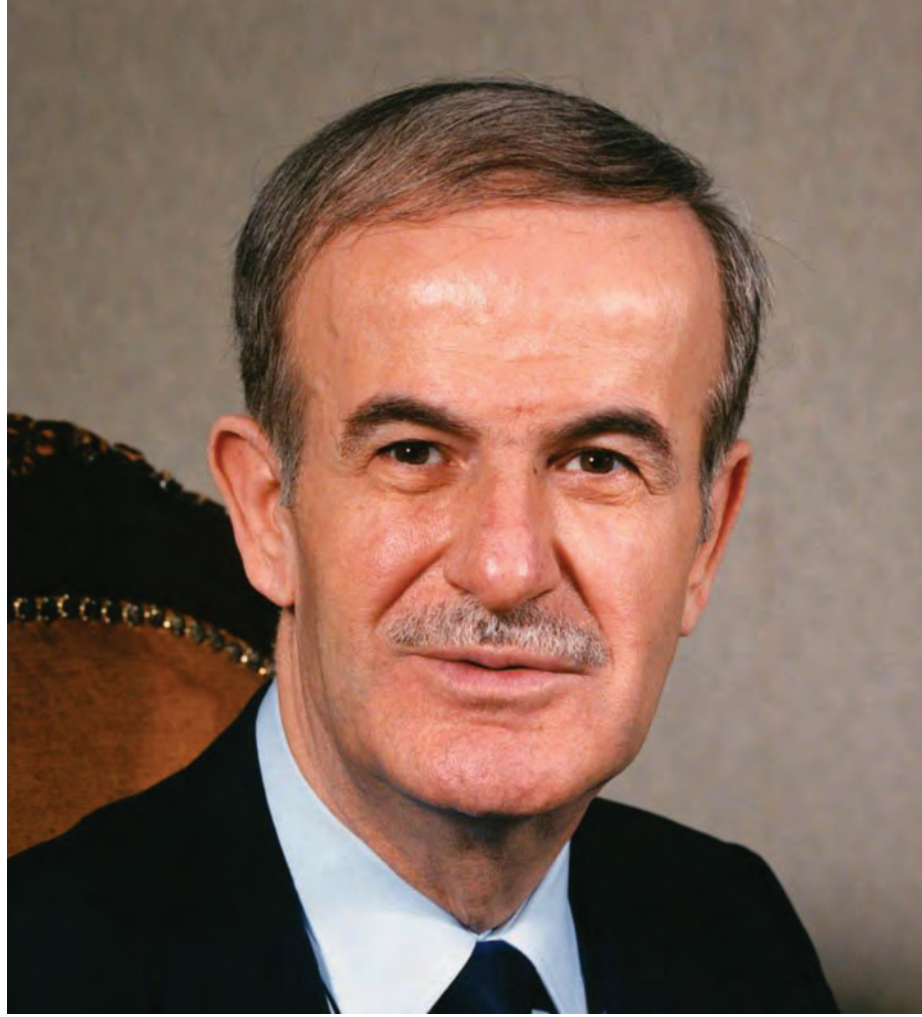
(6)

ذلكم هو بعض القليل القليل مما يمكن أن يقال، لكن البعض الآخر، وهو كثير كثير، ينبغي أن يقال في مساحات أوسع، وفي مجالات أرحب، والذكرى السنوية لقيام الجبهة الوطنية التقدمية هي مناسبة للكلام، لكن الكلام أوسع من هذه المناسبة وأرحب، تماماً مثلما أن المناسبة لا تتسع إلا لجزء يسير مما يمكن أن يكتب ويقال.

(7)

ويبقى بعد ذلك كله بضع كلمات أقولها بكل القناعة والاقتران، هي أن الفضل في كل هذا الذي تحقق وتجسد على أرض الواقع فعلاً وممارسة، إنما يعود إلى ذلك العقل المفكر، والدماغ المدبر الذي يمتلك صاحبه من الحدق والمهارة، ومن الحنكة والبراعة، مما لا تتسع له الكلمات، ولا المصطلحات، ولا القواميس السياسية، ما لا يلقاه إلا ذو حظ عظيم.

ألم يكن حافظ الأسد هو ذلك العقل المفكر، وذاك الدماغ المدبر؟



حافظ الأسد، وأعني بها القدرة على الاستشفاف والاستكشاف.

ألم يكن حافظ الأسد يقرأ خارطة المستقبل؟ ثم ألم يكن حافظ الأسد يصغي جيداً إلى وقع خطى التاريخ؟ ثم، وقبل ذلك وبعده، ألم يكن حافظ الأسد يتحسس بأعصابه المرهفة، ويرى بباصرته وبصيرته، ما هو مقبل علينا وأت؟

(4)

لكن الوحدة الوطنية هي أيضاً وفي الوقت نفسه، إحدى هذه العناوين والمفاصل والدلالات، فالجبهة الوطنية التقدمية، بما هي صيغة متقدمة ومبتكرة للعمل السياسي، تشكل الإطار المناسب، والوعاء الملائم، لتحقيق وحدتنا الوطنية وتجسيدها عبر مؤسسات وممارسات، وفي ذلك ما فيه من إدراك مبكر لأهمية هذه الوحدة الوطنية التي حصنت الوطن في وجه محاولات غزوه من الخارج ومن الداخل، والتي سيجت البلاد في وجه محاولات الاختراق والتفكيك والتفتيت، والتي كانت دائماً سلاحنا الأقوى والأمضى من أي سلاح، ودرعنا الواقى وحصننا المنيع وقلعتنا الصامدة.

هذا الاكتشاف المبكر لضرورة الوحدة الوطنية، وهو اكتشاف غير مسبوق أيضاً من حيث شكله وإطاره في الأقل الأقل، ومن حيث فاعليته وتأثيره في الأكثر الأكثر، قاعدته الأولى هي تلك الموهبة الاستثنائية التي امتلكها حافظ الأسد، وأعني بها القدرة على الاستبصار.

ألم يكن حافظ الأسد يرتاد آفاق المستقبل ويجوبها ويجول فيها، باحثاً ومنقبا، كاشفاً ومستكشفاً؟ ثم ألم يكن حافظ الأسد يستبصر ما لم يكن قابلاً للاستبصار؟ ثم وقبل ذلك وبعده، ألم يكن حافظ الأسد يستخدم بصيرته النافذة، ورؤيته الثاقبة، في رؤية ما لا يرى، وفي استيلاء ما يبدو عسيراً على الاستيلاء؟

(5)

وأين هي الديمقراطية من ذلك كله؟ أليست هي بدورها إحدى هذه العناوين والمفاصل والدلالات؟

وفي القول الفصل، فإن الجبهة الوطنية التقدمية بما تنطوي عليه من تعددية حزبية وسياسية، كانت على امتداد خمسة وأربعين عاماً، الوعاء المناسب لممارسة الديمقراطية في صيغتها الفضلى والمثلى.

لكن الديمقراطية هنا لها خصوصيتها الصاعدة من تاريخنا وحضارتنا وثقافتنا وتراثنا، إنها ليست الديمقراطية القابلة للإعارة أو الاستعارة، وهي ليست الديمقراطية المنقولة والمجلوبة، وهي ليست الديمقراطية المسطورة في كتاب، إنها ليست ذلك كله، وإنما هي الديمقراطية

المصنوعة من خبراتنا وتجاربنا، والقادمة من أعماق تاريخنا وتراثنا، والمتفكة والمتوافقة مع خصوصيتنا القومية.

أليست لكل أمة خصوصيتها القومية؟

ثم أليست هذه الخصوصية القومية هي التي تصنع للأمة عقلها ودماغها وفكرها؟

ثم أليست هذه الخصوصية القومية هي التي تصنع للأمة رؤيتها وأساليب عملها وأشكال ممارساتها لحياتها؟

أليس من حقنا، وفي هذا الشأن بالذات، أن نستذكر كيف أن الأفكار المعقدة، والسطور المحفوظة، والتطبيقات الجاهزة، والتجارب المسبقة الصنع، سرعان ما تتهاوى وتؤول إلى زوال عندما توضع على محك التجربة

إنها ليست الديمقراطية القابلة للإعارة أو الاستعارة، وهي ليست الديمقراطية المنقولة والمجلوبة، وهي ليست

الديمقراطية المسطورة في كتاب، وإنما هي الديمقراطية المصنوعة من خبراتنا وتجاربنا، والقادمة من أعماق

تاريخنا وتراثنا، والمتفكة والمتوافقة مع خصوصيتنا القومية.

الجبهة الوطنية التقدمية في ذكرى تأسيسها الـ 47
رؤية صفوان قدسي لهذا المشهد

هل كان علينا مغادرة الجبهة الوطنية التقدمية؟

قدّرنا أن من المفيد إعادة نشر رد من الحزب على مقال كانت صحيفة (البعث) قد نشرته عن أحزاب الجبهة.

ردا على التحقيق السياسي «أحزاب الجبهة.. ثبات أيديولوجي.. أم تصدع عرته رياح الأزمة»

الاتحاد الاشتراكي العربي: لا يمكن إنكار التيار الناصري بقاعدته الشعبية الواسعة وتجربته وخبرته العميقة

نشرت صحيفتكم الغراء يوم الاثنين الموافق 15 تموز 2013، في صفحتها الخامسة، تحقيقاً تحت عنوان «أحزاب الجبهة.. ثبات أيديولوجي أم تصدع عرته رياح الأزمة». وقد اشتمل هذا التحقيق على مقدمة تحتاج إلى قير كبير من التدقيق من حيث استنباطها للأفكار من تم استطلاع آرائهم، حيث جرى التركيز في هذه المقدمة على كل ما هو سلبي، في حين أن بعضاً من أفكار المستطلعين لم تكن سلبية على الإطلاق.

ومما يلفت الانتباه في بعض من آراء المستطلعين تلك الروح العدائية والاستعدادية التي أُنسبت بها هذه الآراء، وخلال ذلك إنكار وجود تيار سياسي وشعبي، واسع وعريض، هو التيار الناصري الذي يمثل حزب الاتحاد الاشتراكي العربي حاضنة الطبيعية، وتوجيه اتهام إلى أحزاب جبهوية عريضة، وذات تجربة واسعة وخبرة عميقة، وأسهم بعضها في نشر الفكر القومي من خلال مؤلفات وكتابات عديدة، ومثال ذلك الكتب العشرة التي ألفها الأخ صفوان قدسي، الأمين العام لحزب الاتحاد القومي العربي، والتي تشكل إضافة مهمة إلى الفكر القومي العربي ومنها البطل والتاريخ.

فيها متحدث على إحدى الفضايات العربية غير المأجورة، إلا ويكون جمال عبد الناصر حاضراً بهذه الصورة أو تلك، وبهذا الغر أو ذاك. نحن في حزب الاتحاد الاشتراكي العربي حاولنا أن نقيم جسراً تعبر عليه من عالم جمال عبد الناصر الخصيب إلى عالم حافظ الأسد الرحيب، وقلنا في جملة ما قلناه، إن إعادة قراءة الناصرية قراءة نقدية لكنها إيجابية، أمر لا مفر منه لكي نظل الحزب القادر على أن يشكل الحاضنة الطبيعية لتراث جمال عبد الناصر. ونحن قمنا بهذه المراجعة وليس التراجع بكل تأكيد فإننا نعتقد من عبور الجسر القائم بين عالمين متكاملين هما عالم جمال عبد الناصر وعالم حافظ الأسد، ورفعنا شعارنا الدافع للصيت والقائل إن جمال عبد الناصر وحافظ الأسد جناحان متكاملان في مدرسة القومية العربية، لنخطو بعد ذلك خطوة أخرى إلى الأمام ونضع للمؤتمر العام الثاني عشر للحزب الذي انعقد عام 1998 شعاراً يقول: حافظ الأسد... مدرستنا السياسية الوحيدة، ومرجعيتنا الفكرية الفريدة، فكان أن خضنا معارك مع الناصريين السلفيين الذين حاولوا تعليب الناصرية لتخسو قطعة الثرية تصلح لأن توضع في متحف التاريخ، ورفضوا المراجعة.

وتنمّعوا عن الاجتهاد، متناسين أن جمال عبد الناصر هو الذي قال إن علينا أن نهتمك في الحياة بحثاً عن النظرية، لا أن نتهمك في النظرية بحثاً عن الحياة.

هل أخطأنا؟

لا أظن، بدليل أن حقائق الحياة أكدت صحة مراجعاتنا واجتهاداتنا ومواقفنا للعصر ومقتضياته، من دون أن نتخلى عن ثوابتنا تحرياً بين الثوابت والمتغيرات، وكان من رأينا أنه في كل فكرة عظيمة ثوابت ومتغيرات، فأما الثوابت فإنه ينبغي الحفاظ عليها، وأما المتغيرات فإنها لا محالة سوف تؤول إلى زوال.

وإذا كان هناك من يعيب علينا أننا تحلينا بقدر كبير من الصق في تعاملنا مع القائد الخالد حافظ الأسد، ومن بعده الرئيس بشار الأسد، من دون أن ننسى أو نتناسى جذرنا الناصري، فذلك شأن يخص من يصف قيادتنا بأنها «تمارس عملها وفق المبادئ منها»، ثم يضيف إلى هذا الوصف وصفاً آخر هو أن هذه القيادات «هي في معظمها قيادات تابعة».

هل كان علينا أن نلعل ما فعلته قوى وأحزاب معاربية لكي نوصف بعصر الوصف الذي أشرت إليه، وهل كان علينا أن نسعى إلى أن تكون أندية للفائدة الخالد الذي قلنا عليه وعزّ نظيره لكي نعالق فيما غير هذا الكلام الذي يقال.

وعلل كان علينا أن نتأخر الجبهة الوطنية التقدمية مثلما فعل بعض منا حتى لا يكتب عنا لنا أحزاب تابعة، أو ملحقه بحزب البعث العربي الاشتراكي.

لكنك أسئلة عديدة وغيرها وغير وكثير، تتبر عذرا الفكر وآراء ومفردات ومصطلحات وردت على السبلة بعض ممن استطلعتهم أفكارهم في صحيفتكم التي هي الأقدم والأعرق من كل الصحف الأخرى، من دون أي انتقاص من قدر هذه الصحف الأخرى التي تحفل موقعا مقدما في الحياة الإعلامية السورية.

وإذا ما وافقناكم ببعض من ملاحظاتنا غير بعض ما أتى عليه بعض ممن استطلعتهم أراهم مقربين حتى لم يخطأ بحق حزبنا أو أحزاب جبهوية أخرى دوره وموقفه، ونرى أن كل ما قيل لا يدعو أن نكون وجهات نظر ربما نلتفت إلى قدر ما من اللغة المطلوبة والمرغوبة.

حزب الاتحاد الاشتراكي العربي

انعقد عام 1998، شعاراً يقول: (حافظ الأسد... مدرستنا السياسية الوحيدة، ومرجعيتنا الفكرية الفريدة)، فكان أن خضنا معارك مع الناصريين السلفيين الذين حاولوا تعليب الناصرية لتغدو قطعة أثرية تصلح لأن توضع في متحف التاريخ. رفضوا المراجعة، وتمنعوا عن الاجتهاد، متناسين أن جمال عبد الناصر هو الذي قال إن علينا أن نهتمك في الحياة بحثاً عن النظرية، لا أن نهتمك في النظرية بحثاً عن الحياة.

هل أخطأنا؟ لا أظن. بدليل أن حقائق الحياة أكدت صحة مراجعاتنا واجتهاداتنا ومواقفنا للعصر ومقتضياته، من دون أن نتخلى عن ثوابتنا. نحن ميزنا بين الثوابت والمتغيرات، وكان من رأينا أنه في كل فكرة عظيمة ثوابت ومتغيرات. فأما الثوابت فإنه ينبغي

نحن في حزب الاتحاد الاشتراكي العربي. حاولنا أن نقيم جسراً تعبر عليه من عالم جمال عبد الناصر الخصيب، إلى عالم حافظ الأسد الرحيب، وقلنا في جملة ما قلناه، إن إعادة قراءة الناصرية قراءة نقدية، لكنها إيجابية، أمر لا مفر منه لكي نظل الحزب القادر على أن يشكل الحاضنة الطبيعية لتراث جمال عبد الناصر. ونحن قمنا بهذه المراجعة، وليس التراجع بكل تأكيد. فإننا تمكنا من عبور الجسر القائم بين عالمين متكاملين هما عالم جمال عبد الناصر وعالم حافظ الأسد، ورفعنا شعارنا الدافع للصيت والقائل إن جمال عبد الناصر وحافظ الأسد جناحان متكاملان في مدرسة القومية العربية، لنخطو بعد ذلك خطوة أخرى إلى الأمام ونضع للمؤتمر العام الثاني عشر للحزب الذي انعقد عام 1998 شعاراً يقول: حافظ الأسد... مدرستنا السياسية الوحيدة، ومرجعيتنا الفكرية الفريدة، فكان أن خضنا معارك مع الناصريين السلفيين الذين حاولوا تعليب الناصرية لتخسو قطعة الثرية تصلح لأن توضع في متحف التاريخ، ورفضوا المراجعة.

بالحرف الواحد: (لنأخذ مثلاً في مصر، وكيف رفع شباب اليوم صور عبد الناصر الذي رحل منذ أربعة عقود، ذلك لأنه رمز قومي للعرب كلهم. هذا يعني أن الهوية، ورغم كل محاولات تدميرها بالإعلام والسياسة والثقافة، ما زالت موجودة لدى المواطن العربي).

ونود أن نضيف إلى كلام الرئيس بشار الأسد، كلاماً آخر قلناه في العدد الجديد من صحيفة (الميثاق) التي يصدرها حزبنا. من خلال عنوان عريض تصدّر الصفحة الأولى من الصحيفة، هو: (مصر تسترد جمال عبد الناصر). وبكل تأكيد، فإن ما يلفت الانتباه هو أنه ما من مرة يتحدث فيها متحدث على إحدى الفضايات العربية غير المأجورة، إلا ويكون جمال عبد الناصر حاضراً بهذه الصورة أو تلك، وبهذا القدر أو ذاك.



بعض من استطلعتهم أفكارهم في صحيفتكم التي هي الأقدم والأعرق من كل الصحف الأخرى، من دون أي انتقاص من قدر هذه الصحف الأخرى التي تحتل موقعا متقدما في الحياة الإعلامية السورية.

وودنا موافاتكم ببعض من ملاحظتنا على بعض ما أتى عليه بعض من استطلعتهم آراءهم، مقدرين حتى لمن أخطأ بحق حزينا أو أحزاب جبهوية أخرى، دوره وموقعه، ونرى أن كل ما قيل لا يعدو أن يكون وجهات نظر ربما تفتقر إلى قدر ما من الدقة المطلوبة والمرغوبة.

حزب الاتحاد الاشتراكي العربي

حاولنا أن نقيم جسرا نعبّر عليه من عالم جمال عبد الناصر الخصيب، إلى عالم حافظ الأسد الرحيب، وقلنا إن إعادة قراءة الناصرية قراءة نقدية، أمر لا مفر منه لكي نظل الحزب القادر على أن يشكل الحاضنة الطبيعية لتراث جمال عبد الناصر.

يكتب عنا بأننا أحزاب تابعة، أو ملحقة بحزب البعث العربي الاشتراكي؟
تلکم أسئلة عديدة، وغيرها وفيه وكثير، تثير غبارها أفكار وآراء ومفردات ومصطلحات وردت على ألسنة

أندادا للقائد الخالد الذي قلّ مثيله وعزّ نظيره. لكي يقال فينا غير هذا الكلام الذي يقال؟
وهل كان علينا أن نغادر الجبهة الوطنية التقدمية، مثلما فعل بعض منا، حتى لا

الحفاظ عليها، وأما المتغيرات فإنها لا محالة سوف تؤول إلى زوال.

وإذا كان هناك من يعيب علينا أننا خلينا بقدر كبير من الصدق في تعاملنا مع القائد الخالد حافظ الأسد، ومن بعده الرئيس بشار الأسد، من دون أن ننسى أو نتناسى جذرنا الناصري، فذلك شأن يخص من يصف قياداتنا بأنها (تمارس عملها وفق المراد منها)، ثم يضيف إلى هذا الوصف وصفا آخر هو أن هذه القيادات (هي في معظمها قيادات تابعة).

هل كان علينا أن نفعل ما فعلته قوى وأحزاب معادية لكي نوصف بغير الوصف الذي أشرت إليه؟
وهل كان علينا أن نسعى إلى أن نكون

أيام كان العبت بالجبهة وأحزابها

غيري بكل تأكيد، هي أن من كان يفعل ذلك، كان يمتلك قدرا من الصدقية تجعله قادرا على التأثير في عقل من يبحث عن فرصة، أو يفتش عن امتياز، أو يتطلع إلى مكسب.

(5)

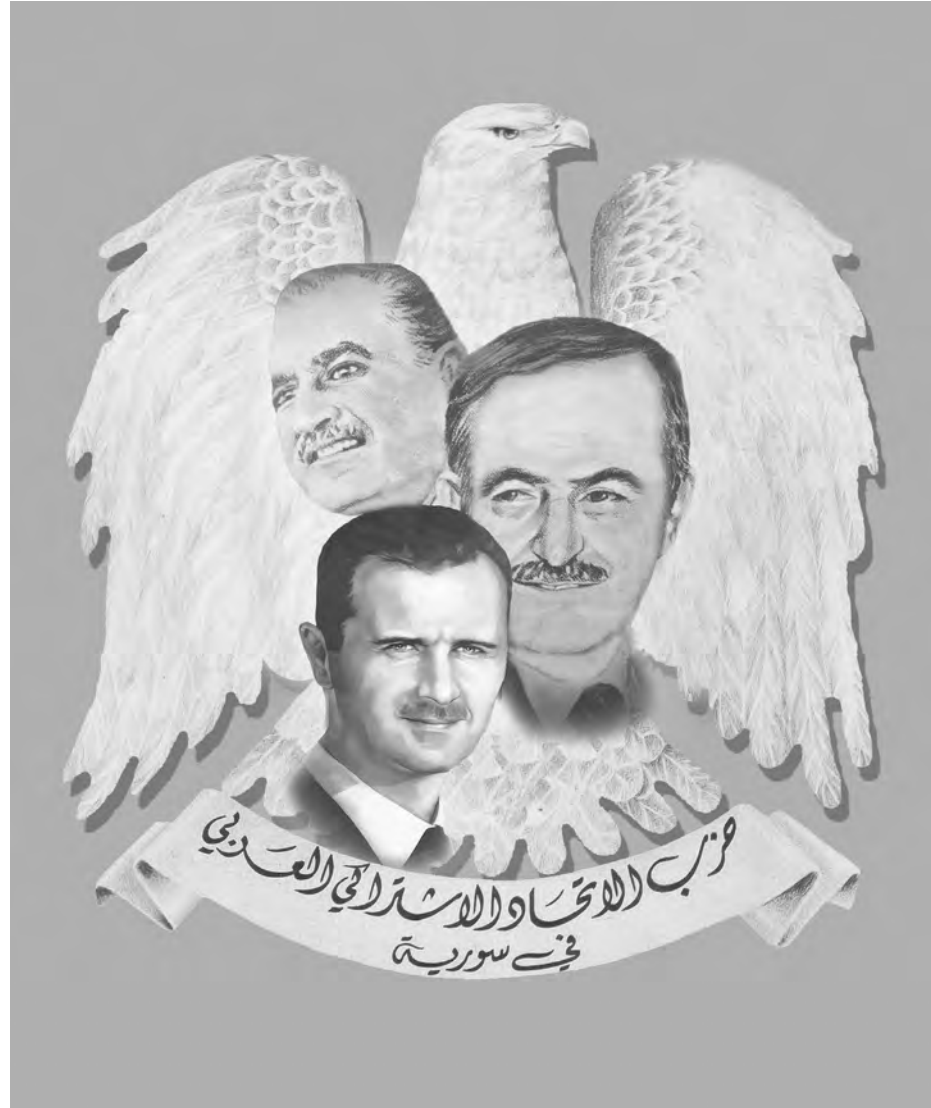
وعلى سبيل المثال، فإن من مثلت الحزب وزيرة له ذات يوم، جاءها من مكتب عبد الحليم خدام من يهمس في أذنها كلاما مفاده أن عقيلة خدام تتوقع منها أن تطلب موعدا تحده لها، وكان جواب وزيرة الحزب آنذاك هو أنها لا تفهم دواعي هذا الطلب ومسوغاته، فأثرت الاعتذار بأدب جهم.

(6)

وحين بلغ الاعتذار مسامع من أرسل رسوله إليها، استشاط غضبا، وقال ما نصه بالحرف الواحد، وبلغته المعهودة: (الله لا يخليني إذا بخليها وزيرة). ثم كان ما كان من قدرته على فعل ذلك بأساليبه المعروفة، وبإساءاته المعهودة إلى كل من لا يقول له سمعا وطاعة، وخرجت وزيرة الحزب من الوزارة قبل أن تكمل العامين بثلاثة شهور على وجه التحديد.

(7)

وأنا هنا إنما أشير إلى واقعة قد يفسرها البعض على أنها ذات بعد ذاتي، في حين أنني أراها ذات بعد موضوعي من حيث كونها تشكل حالة من الحالات التي تؤكد أن من فعل ذلك كان يؤكد صدقيته، فهو الذي قال، وهو الذي أقسم، وهو الذي فعل من بعد قوله وقسمه ما فعل.



دوائية وإسعافية، علّها تتمكن من الوقوف على ساقيها.

(4)

ويجب هنا أن أعترف بحقيقة يعرفها

يستدعي من يستدعي لإلزامه بالتخلي عن حزبه والانصراف إلى كيانات ورقية وكرتونية لا حول لها ولا قوة، إلا بما كان يقدمه لها عبد الحليم خدام من شحنات كهربائية، وجرعات

(1)

أستميح القارئ عذرا في أن أستعيد وأستحضر وأستدعي كلاما سبق لي أن كتبت في وقت من الأوقات، ولعل عذري في ذلك هو أن طبيعة هذا العدد من (الميثاق) الذي يصدر في الذكرى الخامسة والأربعين لتأسيس الجبهة الوطنية التقدمية في مثل هذا اليوم من عام 1972، أي في السابع من آذار على وجه التحديد، تقتضي إحياء ذاكرتنا السياسية والجبهوية وإجهادها في استذكار وقائع يحاول بعض منا إصدار حكم الإعدام عليها رميا بالرصاص عند الفجر، وها آنذا أفعل.

(2)

ففي وقت من الأوقات، أمضى عبد الحليم خدام الكثير من وقته، وبذل العديد من جهده، في سبيل هدف سعى إليه سعيا حثيثا، وهو الإجهاد على حزب الاتحاد الاشتراكي العربي، وجزرأس أمينه العام ووضع رقبته تحت المقصلة، إن استطاع إلى ذلك سبيلا، وكان يشغل ذلك كله حيزا من وقته، تحريضا وتقسيمًا، وشرذمة وبعثرة، واصطناع نتوءات شاذة واستطالات غير طبيعية، حملت مسميات عدة، وسمّيت نفسها أحزابا، لكنها كانت مجرد كيانات وهمية لا وجود لها على أرض الواقع ولا حياة.

(3)

ويعرف الذين عاشوا تلك السنوات من تاريخنا، أن عبد الحليم خدام كان

مقارعة الجبهة بصليل سيوف خشبية

صفوان قدسي



(1)

منذ نشوء هذه الصيغة المتقدمة للعمل السياسي، ومنذ ارتقائها، ومنذ احتلالها موقعا متميزا في حياة البلاد، فإن بعضا من يعيش على أفكار تقادمت وتجزرت وتكلست وعفا عليها الزمن، لم يكن قانعا ولا مقتنعا بما صنعه القائد الخالد حافظ الأسد. وهذا غير القانع وغير المقتنع، لم يستسلم أمام حقائق جديدة تبنت معالمها واضحة في حياتنا السياسية، ولم يسع إلى تنشيط قدرته على التفكير السليم الذي يؤدي إلى الاستنتاج المناسب، ولا عمل على قراءة الواقع قراءة صحيحة، وإنما مضى إلى مقارعة هذه الصيغة بصليل سيوفه الخشبية التي سرعان ما تكسرت وتشظت.

(2)

وما زالت أستحضر من ذاكرتي أحاديث مسهبة جرت في مسمعي خلال لقاءات منفردة مع القائد الخالد، وكان مما جرى في مسمعي، من جملة ما جرى، كلام وفير وغزير عن حجم معاناته مع رفاق له في الحزب كان دأبهم وديدنهم مقاومة هذا التحول النوعي الذي طرأ على حياتنا السياسية. وكان من رأيه أن هؤلاء مازالوا يعيشون عصرا مضى وانقضى، وكان من رأيه أيضا أن هؤلاء لا يمتلكون القدرة على التخلص من آثار مرحلة كانت محكومة بثقافة الانفراد، وعدم الاعتراف بالآخر، والاعتقاد بأن الحقيقة، كل الحقيقة، موجودة في قبضة حزب واحد، وأنه لا تعددية حزبية وسياسية ولا ما يحزنون، تماما مثلما كانت مرحلة مكبلة اليدين بثقافة التخاصم والتصادم والتقاتل والتناحر.

(3)

وكان يضيف إلى هذا الكلام كلاما آخر وهو أنه إذا كان لهذه الثقافة المتحجرة أن تهجر حجرها وأن تتحرر من العقلية المتخلفة التي تتحكم بها، فإن ذلك لن يتم بين عشية وضحاها، ولا بين سنة وأخرى، وإنما الأمر يحتاج إلى مدة زمنية قد تطول بأكثر مما ينبغي. لكن القائد الخالد كان مشبعا بقناعة مفادها أن الذين يتشبثون بهذه الثقافة ولا يهاجرون منها أو يهجرونها، سوف يتجاوزهم الزمن وسوف يجدون أنفسهم معلقين في الفراغ أمام حقائق تترسخ، وأمام وقائع تتجذر.

(4)

وكان هؤلاء يعمدون إلى محاولات محمومة بذلونها بهدف تهشيم هذه الصيغة والتخلص منها. وفي تجربة حزب الاتحاد الاشتراكي العربي

فيض غزير من محاولات التهشيم التي تعرض لها من رؤوس حامية كانت ترى خطرا عليها قراءة الحزب للناصرية قراءة جديدة تحافظ على ثوابتها وتحذف متغيراتها، وفي الحيلولة دون وضع الناصرية في متحف التاريخ، وفي الوقوف في وجه الذين يجعلون من النصوص محرابا يتعبدون فيه، وفي إقامة الحزب جسرا يعبر عليه من بوابة جمال عبد الناصر إلى عالم حافظ الأسد الرحيب، وفي الاجتهاد في مدرسة القائد الخالد، وفي الجلوس فوق مقاعدها، وفي الاستزادة من دروسها، وفي القراءة الواعية لنصوصها ومتونها.

(5)

تبقى بعد ذلك كله كلمات معدودات، هي أن ثقافة التهشيم التي آلت إلى زوال، أعقبتها ثقافة التهميش التي أثق الثقة كلها في أن الرئيس بشار الأسد يعمل على حذفها من قاموسنا السياسي بالقول والعمل في آن معا.

الجموع الرابحة عشتار